

وصف المحلى

الشرىف أبى محمد بن على الكتانى
الأثرى



الطبعة الأولى
1418 هـ - 1997 م

فقد جاء
الغمام بما
أسر
وفيه العلم
فيه البحث همرا
بخط الوارث
السادات طسرا
فحق
الفاضلين
البريتري

أيا طلاب علم
جدو سيرا
كتاب نظمه
در وزهر
أتاك على بساط
من لجين
فيخذه وجزاز
كاتبه دعاء

سيرة الإمام علي بن أبي طالب

□

الحمد لله رب العالمين.. صلواته وسلامه، على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن سلك مسلكهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين. وبعد، فهذا بحث صغير على كتاب "المحلي" للإمام الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، رحمه الله تعالى، دعاني إلى كتابته جني له وكتابته هذا خاصة، لما حواه من علم جم وتشدد في الاتباع لسنة النبي ﷺ.

<< ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبيته في الحديث الصحيح، ومعرفة به، وإن كنت لا أوافق في كثير مما يقوله في الرجال والعلماء، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره ولا أضله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه >> هذا، وقد ورثت هذا الحب عن جدي العلامة الشريف محمد المنتصر الكتاني شفاه الله تعالى، ورثة فباغاة وفهم لا تقليد جاهل غر، والله يجازي علماء المسلمين ويتجاوز عن زلاتنا أجمعين.

وقد قسمت هذا البحث المختصر إلى باين:
الأول : ويتعلق بالكلام المجمل عن الكاتب والكتاب، وفيه خمسة فصول.
الثاني : تفصيل الإجمال عن " المحلي " وضرب الأمثال المختصرة لمباحته، وفيه تقويم للكتاب ونقد له. وأسأل الله أن يكون عملي هذا مخلصاً لهم سبحانه موفقاً في مباحته، وما رأيت من صواب فمن الله تعالى، وما رأيت من خطأ فمني ومن الشيطان والله المستعان وعليه التكلان وبه التوفيق.

وكتب : الحسن بن علي بن المنتصر الكتاني

¹ - من كلام الذهبي في " سير أعلام النبلاء " (18/201) ط الرسالة.



عفا الله عنه تعالى بمنه



الباب الأول

1 - ترجمة موجزة لأبي محمد بن حزم

هو الإمام المحدث الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي الأموي مولاهم.

ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وسمع من جماعة بعدما تربى وتادب وسمع الشعر وتعلم القراءة والكتابة على يد النساء.

فسمع من ابن وجه الجنة وابن الجسور وحماد بن أحمد القاضي وأبي عمر الظلمنكي ناصر السنة، وتدبج مع حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر، رحمهم الله تعالى.

وحدث عنه ولده الشهيد أبو رافع والحافظ أبو عبد الله الحميدي صاحب جدوة المقتبس وغيرهما.

وقد عاش ابن حزم أول حياته مترفاً منعماً في قصر الوزارة، إذ كان والده وزيراً في دولة المنصور بن أبي عامر أواخر الدولة المروانية بالأندلس، وخلف هو والده كذلك في الوزارة، ثم زهد في كل ذلك وانصرف بكليته للعلم والدعوة إلى العمل به.

ولم يقتصر على العلوم الشرعية بل طلب علوم الأوائل كذلك. قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: < وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً لينة سلم من ذلك >¹.

وقال: < قيل إنه تفقم أولاً للشافعي ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله حليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلبه، ولم يتادب مع الأئمة في الخطاب >.

¹ - "السير" (18/186).

² - "السير" (18/186).

وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن الجصور في حدود سنة 400 هـ وهي السنة التي يتأهل فيها الطالب لأخذ العلم بعد حفظه للقرآن وتأدبه.

قال حدي، سلمه الله تعالى: <> فتكون السن التي ابتدأ فيها ابن حزم دراسة الحديث والفقاه هي عمر الغلام اليافع: سن الخامسة عشرة! وإن هذا من عمر رجل في الثامنة والعشرين؟ وإن بين السنين والعمرين لمفاوز تتيه فيها القطا، ويعيش فيها جيل!

قلت: وإنما ذكرت هذا رداً علي من زعم أنه ما طلب العلم إلا عن كبر لقصة ذكروها في ذلك ليس هذا مجال إيرادها.

وقال العلامة أبو زهرة، رحمه الله تعالى، بعد كلام عن طلب ابن حزم للعلم: <> لذلك لا نستطيع أن نقبل مثل هذه الأخبار كابتداء لتعلم ابن حزم الفقه، لأنها في ذاتها موضع نظر، لأنها تنافض سياق حياته²، ولأنها فيما يظهر قد دخلها التصحيف³، وأطال الكلام، رحمه الله تعالى، في توجيه مسألة بداية طلب ابن حزم للعلم بما لم يسبق إليه.

هذا، وقد أوزي ابن حزم بسببين: سياسي وعلمي.

فأما السياسي فلمناصرتة للدولة الأموية المروانية بالاندلس وتأييده لشرعيتها بالأدلة الشرعية، فنقم عليه ملوك الفتنة والطوائف وانتقل من سجن لآخر في محن طويلة ذكر هو نفسه طرفاً منها في "طوق الحمامة".

وأما العلمي فلمخالفته لفقهاء المالكية المقلدين، وتشنيعه عليهم وتشدده في ذلك، بل بلغ به الحال في ذمه التقليد الذي كان قد انتشر في زمانه انتشاراً كبيراً أن عنف على المتقدمين والمعاصرين.

قال الذهبي: <> ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجح العبارة وسب وجدع فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن

1 - "معجم فقه ابن حزم الظاهري" (2/56) ط مكتبة السنة.

2 - "ابن حزم" لمحمد أبو زهرة (ص 32).

تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها،
وأحرقوا في وقتٍ..

واتهم ابن حزم أعداؤه بأنه لم يتأدب على
المشايخ ولم يأخذ العلم على أهله، وبأنه كان به
مرض عصبى. وكل ذلك من تعصبهم عليه، ولعمر
الله أي تربية وتأديب خير من تأديب النساء
لناعمات إلى عمر البلوغ، ثم إنه معروف أنه كان
لابن حزم شيخ مؤدب يدعى الفارسي.

هذا ناهيك عن مشيخته الذين روي عنهم وتفقه
على يدهم كل واحد منهم إمام في العلم والعمل.

قال رحمه الله تعالى:

أقوالهم، وأقوايل الورى محين أقول بالراي إذ في رأيهم فتن سواه أنحو ولا في نصره هن في الدين بل حسبى القرآن والسنة وبا سروري به لو أنهم فطروا من مات من قوله عندي له كفن	قالوا تحفظ فإن الناس قد كثر فقلت هل عيبهم لي غير أني لا وأني مولع بالنص لست إلى لا أنثني لمقاييس يقال بهي يا برد ذا القول في قلبي وفي كبيدي دعهم يعصوا على ضم الحصى كمد
--	--

وأقول: سأناقش بحول الله تعالى عنف ابن
حزم في نقد المحلى. والله المستعان.

وإذا كان أعداء ابن حزم جرموا معرفة حقه
وقدره، فقد عرفه المنصفون وأتباع الحق.

قال أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام رحمه الله
تعالى، وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه
أبو محمد ابن حزم، يدل على عظم حفظه
وسيلان ذهنه.

وقال تلميذه وجامع رأيه مذهبه من بعده
الحافظ الحميدي: كان ابن حزم حافظا
للحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب
والسنة، متفناً في علوم جملة، عاملاً بعلمه.

¹ - "السير" (18/186).

* - من "السير" (18/212).

وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد : >> أقبل على علوم الإسلام جيتي نال من ذلك ما لم ينله أحد بالاندلس قبله

ووصفه الحافظ الذهبي ب >> الإمام الأوحدي، البحر ذو الفنون والمعارف، أبو محمد . وقال : كان ينهض بعلوم جمه، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكياً على العلم..

وقال البسيق الغافقي : >> أما محفوظه فيجر عجاج، وماء تجاج، يخرج من بحر مروج الحكيم، وينبت بتجاجة الفاق النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين وأربى على أهل كل دين

ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه : >> كان واسع الحفظ جداً

قلت: ولم يخرج ابن حزم من الأندلس، ولو خرج لكان له أمر آخر، قال رحمه الله:

لكن عيبي أن مطلعني الغرب	أنا الشمس في جو العلوم منيرة
لجد علي ما ضاع من ذكرى النهي	ولو أنني من جانب الشرق ظالع
ولا أغرو أن يستوحش الكلف الصب	ولي نحو أكناف العراق صباية
فحينئذ يبدو التأسف والكرب	فإن نزل الرحمن رخلي بينهم
وإن كسباد العلم آفته القرب	هنالك بدري أني للبعد قصة

قلت : رحمتك اللهم يا أبا محمد، صدقت في قولك، ولكن الله تعالى علم جميل قصدك قوفق من أراد به الخير للاستفادة من كتبك.

ولابن حزم مصنفات حافلة في جملة من العلوم بلغت حوالي الأربعمئة. أهمها: "الأحكام في أصول الأحكام" و "الفصول في المثل والنحل"

1 - كل هذه النقول أخذتها من "السير" (186/18-190).

2 - "لسان الميزان" (4/198).

3 - فائدة : أخبرني جدي، حفظه الله تعالى، أنه هو الذي أدخل ذكر ابن حزم لبلاد الشام، وما كان يذكر قبل ذلك بها أبداً، فجزاه الله خيراً.

"الإبصار" و"المحلى" وكتب عديدة في الرد
على اليهود والنصارى والدفاع عن الإسلام بأقوى
حجة.
وتوفي رحمه الله تعالى في بادية لبلة منفيًا
مكنا على العلم سنة 456هـ. رضوان الله تعالى
عليه.

2 - ذكر المذهب الظاهري وتطوره

اعلم - رحمك الله تعالى - أن أول متكلم بهذا المذهب وتناشر لوائه هو الإمام أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، رحمه الله تعالى، المتوفى سنة 270 هـ. وكان هو معدوداً في أصحاب الشافعي، وصنف المصنفات الجليلة في فضائله حتى وصفه الإمام أبو إسحاق الشيرازي بقوله: > وكان من المتعصبين للشافعي .

ولما ذكر القاضي عياض، رحمه الله تعالى، انتشار المذاهب في البلدان قال: > وعلي علي بلاد فارس مذهب داود > ثم قال: > وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي ودخلها شيء من مذهب داود .

وقال عن الأندلس: > وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداود فلم يمكنوا من نشره، فمات بموتهم على اختلاف أزمانهم .

ومن أئمة المذهب ورجاله أبو بكر محمد بن داود، أحد الأذكياء العلماء الأدياء، وله مصنفات عديدة في المذهب الظاهري ونصريته. وقتل سنة 295 هـ، وهو ابن داود بن علي كما ترى.

ومنهم أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن المغلس البغدادي، وإليه انتهت رئاسة أصحاب داود في بغداد وقته. أخذ عن أبي بكر بن داود وصنف العديد من الكتب في الفقه وغيره. توفي سنة 324 هـ.

ومنهم أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزى الأصبهاني، النظار القاضي، وعنه أخذ فقهاء بغداد مذهب الظاهر. توفي سنة 391 هـ.

ومنهم أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، أبو بكر الشيباني الإمام الحافظ الكبير قاضي أصبهان.

1 - " الطبقات الكبرى " للسبكي (2/285).

2 - " ترتيب المدارك " (1/25-27).

3 - هذه التراجم استفدتها من مرجع العلوم الإسلامية للدكتور محمد الزحيلي (ص 475-476)

قال أبو نعيم الحافظ: >> كان ظاهري المذهب.

وقال ابن الأعرابي: >> فأما ابن أبي عاصم فسمعت من يذكر أنه كان يحفظ لشقيق البلخي ألف مسألة، وكان من حفاظ الحديث والفقهاء، وكان مذهبه القول بالظاهر وترك القياس. قلت: وكان إمام سنة فهو مصنف "السنة" في نصرتها والذب عنها على طريقة السلف. وتوفي رحمه الله تعالى سنة 287 هـ. ومنهم عبد المؤمن بن خلف، أبو يعلى التميمي النسفي، الإمام الحافظ، سمع من أبي حاتم الرازي وطبقته.

قال الحافظ ابن عبد الهادي: >> وكان من علماء الظاهرية، أخذ الكتب عن محمد بن داود الظاهري وكان شديد الحب للآثار، صالحاً ناسكاً.

قلت: وكان صلباً في السنة شديداً على المنتدعة، توفي سنة 346 هـ بنسف رحمه الله تعالى.

ومنهم أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي. الفقيه البليغ والخطيب الجريء وكان إمام قرظية بل والأندلس في زمانه علماً وأمانة وزهداً وذا مكانة عند الناصر الأموي. وكان ظاهرياً ساعياً بجد في نشر مذهبه. توفي سنة 355 هـ وهو من تلاميذ الإمام ابن المنذر رحمه الله تعالى. ومنهم أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الأندلسي.

قال الضبي: >> مسعود فقيه عالم ظاهري يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ذكره أبو محمد بن حزم، وكان أحد شيوخه.

1 - "طبقات علماء الحديث" (2/348) لابن عبد الهادي. وراجع "السير" (13/420).

2 - "طبقات علماء الحديث" (2/75)، "السير" (15/480).

3 - "السير" (16/162). و"ابن حزم" (ص 82).

4 - "ابن حزم" (ص 82).

قلت : أثر أبو الخيار في ابن حزم تأثيراً غير مجرى حياته فهو شيخه في الفقه الظاهري وتوفي رحمه الله تعالى سنة 426 هـ.

وظهر بعد هذا أبو محمد بن حزم القرطبي فحمل لواء المذهب وجادل عنه أشد المجادلة. وفي الحقيقة فإن ابن حزم هو المنظر الحقيقي للمذهب الظاهري أصولاً وفروعاً ولولاه لما عرف هذا المذهب البتة.

وقد كان له تلامذة أخذوا بقوله وانشروا مذهبه بعد وفاته رحمه الله تعالى. والدليل عليه ما قاله أبو بكر بن العربي المالكي عن الظاهرية - وما أنصف - هي أمة سيخية تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم تفهمه، تلقوه عن إخوانهم (!!) الخوارج وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملا به المغرب سيخيف من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم (!!).

والشاهد هو أن مذهب ابن حزم انتشر بعده في المغرب أما جملة ابن العربي الطالمة فسياتي بيان ما فيها.

فمن أصحاب ابن حزم الخالص الأوفياء الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن قنوح الحميدي الأندلسي صاحب "جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس" وغيرها من المصنفات المفيدة.

وقال عنه أبو عامر العيدي فيما روى عنه الحافظ السلفي: لا يرى قط مثله، وعن مثله لا يسأل جمع بين الحديث والفقه والأدب وراى علماء الأندلس. وكان حافظاً.

قلت : فرّ الحميدي للمشرق لما ضيق على شيخه وشدد على أصحابه فنبع الله تعالى به وعرف فضله رحمه الله تعالى. توفي سنة 488 هـ ودفن ببغداد.

¹ - "السير" (18/188).

² - "طبقات علماء الحديث" (2/411).

ومنهم - أي الظاهرية - الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون العبدي الأندلسي، ولد بقرطبة وسكن بغداد وبها مات سنة 524 هـ.³
ومن تلاميذ الحميدي الحافظ المكثّر الجوالي محمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة 507 هـ.

قلت: تبنت دولة بني عبد المومن المسيمة بدولة (الموحدين) بالمغرب الأقصى مذهب الظاهرية وعلت في ذلك فأمر يعقوب المنصور بإحراق كتب الفروع والمعاقبة على وجودها أو الإهتمام بها وكان من علماء ذلك الوقت أبو الخطاب بن دحية وابن عربي الأندلسي وكلاهما كانا على مذهب الظاهرية.

ثم إن هذا المذهب اضمحل شأنه وانقرض إلا في الأندلس جدا لعدة أسباب سيأتي ذكرها بإيجاز شديد إن شاء الله تعالى.

ومع هذا في زماننا ظهر الإهتمام بأثار ابن حزم ومصنفاته، وأعجب الناس بالعديد من اختياراته. والعديد من أهل الحديث المعاصرين يهتمون بمذهب ابن حزم ويعجبون به.

فممن تأثر به في الغرب آل الصديق الغماريون وخاصة الشريف محمد الزمزمي رحمه الله تعالى.

وفي الجزيرة العربية يوجد علمان في الأدب واللغة والعلم يتظاهران بمذهب ابن حزم هما أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري وأبو تراب الظاهري.

وفي اليمن أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي الذي كان زيدا ثم انتمى إلى السنة وأخذ بالظاهر ونفى القياس وله جماعة يتبعونه.

فهذا ما ظهر لي من تطور المذهب الظاهري أما بسبب عدم انتشاره فعدة أسباب أجملها فيما يلي:

³ - "السير" (19/579).

² - "طبقات علماء الحديث" (4/12).

³ - "الفكر السامي" (3/197) ط الكتب الإسلامية.

1 - أنه مذهب بشدد في تحريم التقليد وإيجاب الاجتهاد، فيحتاج إلى علماء حفاظ فحول دائمى البحث والفكر، وهذا أمر تتفاصر عنه همة غالب الناس.

2 - أنه لم يجد دولة تنصره وتقوم به، ولما نصرته دولة بني عبد المؤمن ازدهر لكن عنف الدولة وانغراس مذهب مالك في نفوس المغاربة جعل جهود الحكام تذهب هباءً منثوراً بعد زوالها، خاصة وباقي دول المغرب رجعت لمذهب مالك رحمه الله تعالى.

3 - عنف ابن حزم مع المخالفين نفر منه الناس.

وأقول: إن المذهب الظاهري ليس بدع من المذاهب بل هو مذهب من مذاهب أهل الحديث، نضر الله وجوههم، إلا أن أصحابه جمدوا على أمور ما كان لهم أن يجمدوا عليها.

" وقد نقل عن الحافظ ابن حجر أن أبا حيان كان يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه.

" قال الإمام الشوكاني - في "البدر الطالع" بعد نقله: "ولقد صدق في ذلك؛ فمذهب الظاهر أي العمل بظاهر الكتاب والسنة، هو أول الفكر وآخر العمل عند من منح الإنصاف ولم يرد على فطرته ما غيرها. وليس هو مذهب داود الظاهري واتباعه فقط، بل هو مذهب أكابر العلماء المقتدين بنصوص الشرع من عصر الصحابة إلى الآن، وداود واحد منهم. وإنما اشتهر عنه الجمود في مسائل وقف فيها على الظاهر حيث لا ينبغي الوقوف، وأهمل من أنواع القياس ما لا ينبغي لمنصف إهماله.

>> وبالجملة، فمذهب الظاهر، وهو العمل بظاهر الكتاب والسنة بجميع الدلالات وعدم التعويل على محض الرأي الذي لا يرجع إليها بوجه من وجوه الدلالة وأنت إذا أمعنت في مقالات أكابر المجتهدين المشتغلين بالأدلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه بل إذا رزقت الإنصاف وعرفت العلوم الاجتهادية كما ينبغي ونظرت في علوم الكتاب والسنة حق النظر كنت ظاهرياً، أي

عاملاً بظاهر الشريعة منسوباً إليه لا إلى داود
الظاهرى فإن نسبته ونسبته إلى الظاهر متفقة،
وهذه النسبة هي مساوية للنسبة إلى الإيمان
والإسلام وإلى خاتم الرسل عليه أفضل الصلوات
والسليم.

وإلى مذهب الظاهر بالمعنى الذي أوضحناه
أشار ابن حزم بقوله:
وما أنا إلا ظاهرى وإني¹ على ما بدا
حتى يقوم دليل.

¹ - "معجم الشيوخ" (ص 82) للفاضل عبد الحفيظ الفاسي. ط الرباط 1250 هـ.

3 - أصول كتاب المحلى¹

"المُحَلَّى" واحد من أربعة كتب صنفاها ابن حزم في أحكام الحلال والحرام.

أكبرها كتاب أسماه "الإيصال إلى فهم الخصال" شرح فيه بتفصيل وبسط كتابه الآخر "الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام". قال ابن حزم عن كتابه "الإيصال" كل ما روي في ذلك - من نصوص القرآن والسنة والإجماع - من أربعمائة عام ونيف وأربعين عاما من شرق الأرض إلى غربها، قد جمعناه² في كتابنا الكبير المعروف "الإيصال"³ اهـ.

وقال تلميذه الحافظ الحميدي :

> أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها والأجاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك وتحقيق القول فيه .

وقال القاضي صاعد الأندلس عنه في "أخبار الحكماء" أنه رآه في أربعة وعشرين مجلدا بخط ابن حزم نفسه، فقال: > وكان في غاية الإدماج

قال الحافظ الذهبي: >> كتاب "الإيصال" في خمسة وعشرين ألف ورقة .

ثم أوسط هذه الكتب كتاب "الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام" وذكر الذكر عنه أنه في مجلدين .

وأصغرها "المجلى" وهو مسائل فقهية مختصرة. كأنه متن في الفقه الظاهري على اجتهاد أبي محمد رحمة الله تعالى .

أما "المحلى" فهو شرح ل "المجلى" .

قال ابن حزم :

1 - كل هذا الفصل مستفاد من مقدمة شيخنا الجد، حفظه الله تعالى، ل "معجم فقه ابن حزم" (ص 16-19)، وعليه فإحالاتي مستقاة من عنده في أغلبها.

2 - "المحلى" (10/415).

3 - "معجم الأدياء" (5/86) لياقوت.

4 - "السير" (18/)

>> وفقنا الله وإياكم لطاعته، فإنكم رغيتم أن
نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا
الموسوم بـ "المحلى" شرحاً مختصراً أيضاً
نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون
ماخذه سهلاً على الطالب والمبتدئ، ودرجاً إلى
التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف، وتصحيح
الدلائل المؤدية إلى معرفة الحق مما تنازع الناس
فيه، والإشراف على أحكام القرآن، والوقوف
على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ،
وتمييزها مما لم يصح، والوقوف على الثقات من
رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم.

وقال في مكان آخر:

>> وإنما كتبنا كتابنا هذا للعامي والمبتدئ
وتذكرة للعالم.

قلت: وهذه الكتب كلها حاشا "المحلى"
ضاعت فيما ضاع من كنوز المسلمين في
الأنديس، أعادها الله تعالى دار إسلام، إلا أن
"المحلى" يمكن استخلاصه من "المحلى" نفسه،
أما "الإيصال" فقد كمل به أبو رافع بن علي بن
حزم "المحلى" مختصراً له.
قال حديثاً العلامة، جزاه الله تعالى كل خير، عن
"الإيصال":

>> هي موسوعة يتيمة، لم يسبق لها نظير ولا
مثيل في تاريخ الإسلام، لا قبل ابن حزم ولا بعده،
وإذا قال العز بن عبد السلام سلطان العلماء
رحمه الله عن مختصر "الإيصال" ("المحلى")
لم يكتب في الإسلام مثله، وضم إليه "المغني"
لابن قدامة، فماذا يقول لو رأى "الإيصال"؟!
وبلا شك لأفرده بقوله: لم يكتب في الإسلام
مثله - على الأقل - ولما ضم إليه في الشبه
والنظير لا "مغني" ابن قدامة ولا غيره من كتب
أهل الأرض جميعاً.

1 - "المحلى" (1/2).

2 - "المحلى" (10/415).

3 - "مقدمة المعجم" (ص 22).

4 - طبعات المحلي الموجودة

قال شيخنا الجد، أمتع الله به:

>> طبع "المحلي" لأول مرة بمطبعة النهضة بمصر، بذي بطبعه سنة 347 وانتهى سنة 1256 في أحد عشر مجلداً، طبع في ورق جيد واعتنى بتصحيحه وتحقيق طبعه الشيخ محمد منير الدمشقي، رحمه الله.

وقد علق على هذه الطبعة وصححها وحققها صديقنا محدث مصر وحافظها أحمد محمد شكري، رحمه الله، فكانت تعاليقه عامرة علماً وحديثاً، يخرج بصحح ويضعف ويحيل إلى مراجع قيمة، ولكنه اعتذر عن متابعة ذلك في المجلد السادس ص 219، فطبعت باقي الأجزاء ناقصة تحقيقاً وتصحيحاً، ليس فيها تعاليق إلا نادراً، وفيها أخطاء مطبعية لا تختمل أحياناً، فيها حذف كلمة وتصحيف أخرى، وتكثر تلك الأخطاء في المجلدات الثلاث الأخيرة: التاسع والعاشر والخادي عشر.

ولهذه الطبعة فهارس دقيقة عقب كل مجلد، يبلغ مجموعها نحواً من تسعين صفحة تدل على علم وفهم.

وطبع "المحلي" للمرة الثانية طبعة تجارية في مطبعة الإمام بمصر، أخذت تعاليق الطبعة الأولى وأخطأؤها، وقد زادت عليها أخطاءً لعلها أكثر من الضعف، وعليها تعاليق أخرى للشيخ محمد خليل هراس، وليس للطبعة الثانية تاريخ. اهـ

قلت: والمطبعة الأولى صورتها العديد من المكتبات وأعدت طبعها كدار الفكر ودار الأفاق الجديدة.

وللكتاب طبعة أخرى طبعتها دار الكتب العلمية بلبنان بتحقيق الدكتور محمد عبد الغفار البنداري وعليها تعليقات له وتخریجات للأحاديث.

وهذه الطبعة سيئة للغاية لأن التخریجات لا منهج لها فمرة يطيل التخریج بلا فائدة، ومرة أخرى يمر على الحديث والآثر بدون أن يتكلم

¹ - "معجم فقه ابن حزم" (ص 65/ج 5).

عليه. ثم تعليقاته العلمية لا معنى لها في الغالب بل فيها تعليقات غير مستساعة.

وبالجملة فإن هذا الكتاب النفيس يحتاج إلى تحقيق جديد لعالم مجيد يخرج أحاديثه وأثاره ويدقق نصه ويرقم أحاديثه ترفيماً سيسهل الرجوع إليها والأحالة عليها، ويعلق على ما لا بد له من تعليق، دون قصور في ذلك كله ولا طول ممل.

وأختم هذا الباب بقصة طريفة تدلك على مدى هجران الناس لهذا الكتاب النفيس تعصياً للمذهب.

قال العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن صديقه إمام الشام العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332 هـ) رحمه الله تعالى:

>> ومن عظيم همته أنه شد الرجال إلى البلاد الحجازية في غير موسم الحج للاطلاع على كتاب "المحلي" لابن حزم لعدم وجوده في دمشق. فدخل المكتبة العمومية في المدينة المنورة بعدما زار الحرم النبوي - على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم - وسلم على الرسول العظيم (ﷺ)، وطلب من القيم الكتاب المذكور فأجابه: إن هذا الكتاب ممنوع الإطلاع عليه، لأنه لا يتقيد بمذهب، وياخذ بمن هو أقوى دليلاً من الأئمة.

فاجتال القاسمي على القيم وقال له: إنني أريد أن أناقشه وأرد عليه إذا اقتضى الأمر!!
فبُسرَّ القيم، وقال له: على هذه النية أعطيك الكتاب!

1 - "شيخ الشام جمال الدين القاسمي" لمحمود مهدي الإستانبولي. (ص 22) ط المكتب الإسلامي.

الباب الثاني

1 - منهج المحلى بالحمله

قال شيخنا الجد، سلمه الله: >> "فقه ابن حزم هو فقه القرآن وفقه السنة، وفقه الأجماع، لا فقه له غيره، ولا يدين الله بفقه سواه، ويرفض كل فقه عداه".

ويبدأ "المحلى" بمقدمة مختصرة يقول فيها: >> "أما بعد، وفقنا الله وإياكم لطابعته، فإنكم رغبتم أن تعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بـ "المحلى" شرحاً مختصراً أيضاً. نفتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون ما خذه سهلاً على الطالب والمبتدئ، ودرجاً إلى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية إلى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن، والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ".

ثم افتتح الكتاب بكتاب التوحيد، حيث بين فيه عقيدته بدلائلها، ثم كتاب الأصول فبين فيه أصوله الفقهية التي شرحها في "الإحكام في أصول الأحكام" ولخصها في "النبد".

وبعد ذلك يدخل على الترتيب الفقهي المعتاد بادئاً بكتاب الطهارة منتهياً إلى كتاب الحدود والتعزير.

ويفتح ابن حزم كل كتاب من كتب "المحلى" بمسألة نلو مسألة. فيقول مسألة: ويذكر الحكم الذي يراه مجرداً ثم يستدل عليه بآية إن وجدت ثم يقول: قال أبو محمد أو قال علي، يعني نفسه، ولا أدري هل هذا من قوله أو من قول أحد تلاميذه.

ثم يبدأ الاستدلال بالحديث بذكر سنده وبالآثار السلفية الموافقة لما ذهب إليه والمخالفة له ويذكر دلائل أصحابها بالأسانيد المتصلة ويتكلم على إسنادها ورجالها.

1 - "مقدمة المعجم" (ص 24).

2 - "المحلى" (1/2).

وبقوي حجته كذلك بالأصول التي رسمها في البداية، وبطيل النفس في المسألة الواحدة حتى تبلغ الصفحات ذوات العدد ويعنف على المخالف خاصة المقلدين للأئمة لأنه يعتبرهم قد استبصروا الحق لكن أعماهم التقليد.

ولا يخفak أن ابن حزم يحرم التقليد تحريماً باتاً ويرى أنه بدعة مفكرة حدثت بعد القرون الفاضلة، ولذلك تراه لا يفتأ يشدد نكيره على المقلدة للأئمة رحمهم الله تعالى.

ومما يجدر ذكره أن ابن حزم مات ولم يكمل المحلى فأكمله ولده أبو رافع الفضل، رحمه الله تعالى، وذلك من المجلد العاشر إلى آخره. الكتاب، من المسألة رقم (2023) إلى (2308).

قال حدي، حفظه الله تعالى، في ذكر طريقة ابن حزم وقد يذكره - الحديث - من طرق متعددة، وكلها مسندة، وقد يستدل بالإجماع، والإجماع عنده هو إجماع علماء كل عصر إذا لم يتقدم قبله في تلك المسألة خلاف. ويعني بالعلماء المجتهدين الذين حفظت عنهم الفتيا.

وقال، أمتع الله به : >> لا يذكر فقهاً لأحمد إلا نادراً جداً، إذ أحمد عند الأندلسيين إمام في الحديث فقط، ومن ذلك كتاب الحافظ ابن عبد البر الأندلسي: الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء، وقد يذكر فقه من جاء بعد الثلاثة إلى منتصف القرن الخامس.

قلت : والتحقيق أن أحمد إمام في الحديث والفقه معاً وإن كان غلب عليه الأثر لشدة تعلقه بأثر الجيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وقد شهد له بالفقه والإمامة فيه شيخه الشافعي، رحمة الله عليهم أجمعين.

ومما يجدر ذكره أن ابن حزم كان أديباً شاعراً من الطيقة الأولى، ويظهر ذلك من أسلوبه المانع في مناقشته لأئمة العلم ومن مصطلحاته المنتقاة.

1 - راجع كلامه في "الإحكام" (6/146).

2 - من "مقدمة المعجم" (ص 20).

قال جدي، بارك الله فيه: > وفي ثانياً
"المحلى" وبين مسائله صفحات في أدبها بلاغة
وبيانا عن أدب الجاحظ وابن المقفع وأنها لجديرة
بأن تجرد للطلاب في المدارس ليحتدوا حذوها،
ولتكون لهم هادياً ومعلماً في الإنشاء والبيان
والأدب.

وقال: > وابن حزم الأديب العنيف اللفظ
والكلمة، حين يكون لفظه وتكون كلمته عن النبي
صلوات الله وسلامه عليه، يذوب رقة ولطفاً،
وينقلب الأديب الحاني الطريف، فهو يكثر من ذكر
الكلمات المهدبة، يصف بها النبي صلى الله عليه
واله وسلم ذاتاً وأعضاء، مثل: بنفسه أفديه هو -
صلى الله عليه واله وسلم - بأبي وبأمي.. ووجهه
المقدس².

ولا يذكر أحداً من الصحابة - رجلاً أو امرأة - إلا
وترضى عنه، فيقول: رضي الله عنه، ولا يذكر
أحداً غيرهم من السلف الصالح إلا وترحم عليه،
رجلاً كان أو امرأة³.

1 - "مقدمة المعجم" (ص 42).

2 - راجع "المحلى" (10/253).

3 - "المقدمة" (ص 42).

2 - فقه المحلى

قال العلامة محمد أبو زهرة، رحمه الله تعالى :
>> لابن حزم فقه له لونه خاص امتاز به، وله آراء فقهية ليست في فقه الأئمة الأربعة ولا غيرهم. وهو يتفق في كثير من الأحوال مع المنقول، وأنا نذكر مثلاً من هذه الآراء التي يخالف بها الأربعة:

أ- إنه يرى أن تصرف المريض المريض مرض الموت تبرعاً أو غير تبرع كتصرف الصحيح، لا فرق بينهما، ويرى أن تصدق المرأة من مال زوجها جائز، ويرى أيضاً أنه يجوز للقاضي أن يعدل في وصية أوصى بها شخص إذا كان فيها حيف وإثم، وأنه يجوز للقاضي أن ينفذ وصية بقدر معلوم لبعض أقارب المتوفى الضعاف الذين لا يرثون..

و- ابن حزم يخالف جمهور الفقهاء في مسألة مهمة من مسائل الظهارة فهو يقرر أنه يجوز للجنب والحائض والنفساء أن تمس المصحف وتقرأ القرآن الكريم، ويجوز بالأولى ذلك لغير المتوضئ، ويحاول أن يدحض كل الأدلة التي يسوقها الفقهاء في لإثبات تحريم ذلك.

قلت: وخالفهم في مسائل في الصلاة، ومنها أنه يبطلها بكل ما هو منهي عنه وإن لم يكن منها وكذا الصيام والحج عنده يفسدان بالذنوب مطلقاً إن تعمدتها صاحبها.

والمرأة عنده تصلي في الجماعة كالرجل ولها مثل أجره.

والحج عند ابن حزم مختلف في مفسداته عند الجمهور، وعنده أمور أخرى لا تفسد الحج ولا توجب فدية كقص الشعر والأظافر.

والزكاة عنده واجبة في أصناف معدودة من الزروع وهي ثلاثة: التمر والحنطة والشعير لا غير، وكذلك الربا لا يكون إلا في الأصناف الستة المنصوص عليها.

وعند ابن حزم لا يطلق أحد من أحد، فلا يملك القاضي تطليق زوجة من زوجها إلا إذا صرح

1 - " ابن حزم " (ص 254).

زوجها بطلاقها، ولو توصلنا إلى ذلك بضربه حتى الموت!

وعنده يجوز الزواج من الربيبة إذا لم تكن في حجر الرجل، ويحسد على ذلك أدلة من المنقول والمأثور.

وعنده أن النكاح لا يفسخ بالعيوب بحال. وعنده أن الاحتياط في الفروج كما يكون بترك النكاح على حاله فإنه يكون بفسخه لأن في كليهما تحليل فرج حرام لمن يحرم عليه وتحريمه ممن يستحقه. ثم إن الطلاق في مرض الموت عنده واقع ولا يعتبر ما يذكره غيره من المعاملة بالصد وتوريث الزوجة على ذلك.

وفي المواريث له اختيارات عديدة خالف فيها الجمهور، ومنها إنكاره للعول، ووجوب إعطاء الأقارب واليتامى عند القسمة.

أقول: وفي "المحلى" حملة وافرة مباركة من فقه آل البيت، عليهم السلام وفقه الصحابة والتابعين، وفقه أصحاب المذاهب المنقرضة والأئمة المجتهدين إلى عصر ابن حزم.

ولم يذكر في "المحلى" إلا مذهب مجتهد، أما من لم يخرج عن قول إمامة فإنه لا يعتد به ولا يدرجه في العلماء.

وكذلك اهتم ابن حزم في "المحلى" بذكر أقوال الأئمة الأربعة، وناقشهم بحجج قوية. قال جدي، سلمه الله تعالى: "وقلي إن تذكر فيه مسألة إلا وفيها من فقههم جميعاً، أو فقه واحد منهم أو اثنين".

قال: >> ويمكن أن يجرد من "المحلى" مجلداً في فقه الأحناف والرد عليه، ومجلداً في فقه المالكية والرد عليه ومجلد في فقه الشافعي وداود بن علي وغيرهما والرد عليه. أما فقه أحمد فليس في "المحلى" منه إلا قضايا محدودة، ومسائل محسوبة.

¹ - كل هذا لخصته من مطالعاتي في "المحلى" ولله الحمد، ولذلك ذكرته على البديهة. وقد استفدت في بعضه من كتاب أبي زهرة.

قال : >> وفي مناقشته فقه الثلاثة والرد عليه يكون ابن حزم قاسياً عنيفاً مع الحنفية والمالكية، ويكون براً لطيفاً مع الشافعية، وأما الظاهرية فهم عنده أبعد الناس عن التقليد، فمن قلد أحداً ممن يدعى أنهم منهم فليس منهم ولم يعصم أحداً من الخطأ.

قلت : وفي "المجلى" من فقه النيباء شيء كثير في سائر الأبواب وقد لاحظت ملاحظة لم أقرأها في كتاب ذكرها قبلي - والله أعلم - أنه ما من مسألة اختلف فيها الفقهاء بين مشدد على المرأة وميسر فإن ابن حزم يسلك سبيل التيسير، وعنده أن المرأة في الأحكام كالرجل إلا ما خصه الدليل.

وهذه الملاحظة على سبيل الإجمال والأغلبية. ويمكن أن أقول : إن العديد من المسائل التي يذكرها الكثير من المعاصرين المسلمين من العلماء والدعاة في حقوق المرأة والنص على التشديد عليها والعلاقة بينها وبين الرجل ومدى صلاحيتها، فإن لابن حزم في ذلك قصب السبق وكلامه فيه متين.

ولست صاحب هوى - إن شاء الله تعالى - لكن العديد من اختيارات ابن حزم أجدها قوية الحجة واضحة الدليل في هذا الباب. والله الموفق والهادي.

وأنظر إلى كثير من الفقهاء خاصة المتأخرين منهم، فإنهم يلمح من كلامهم استنفاص المرأة والتجيز عليها مرة بحجة قصورها وأخرى بحجة سد الذرائع، وهذا ما لم أجده عند ابن حزم، بل الصالحات منهن عنده صالحات والفاسدات بحسب فسادهن، مثلهن في ذلك مثل الرجال. والله المؤيد.

3 - الحديث رواية ودراسة عند المحلي

اتفق المصنّفون لابن حزم أنه كان واسع الرواية جداً، حتى إنهم قارنوه بابن جرير الطبري في سعة محفوظه.

وفي "المحلى" من رواية ابن حزم المسندة شيء كثير في كل أبواب العلم، إلا أنها في المجلدات الأولى تكاد تكون أكثر، ولعله حصل له نوع ملل بعد ذلك من تطويل الإسناد في كل مرة، مع أنه ذكره في كتابه "الإيصال" كما بينت لك آنفاً.

هذا وقد خدم شيخنا الجد، أمتع الله به، هذا الإمام خدمة جلية بأن جمع له "مسنده" مجرداً من "المحلى"، وأسأل الله تعالى أن ييسر له طبعه بمنه وكرمه. قال، سلمه الله:

>> وأحاديثه تعد بالألوف، جردت منه نجواً من سبعمئة حديث بسند ابن حزم إلى النبي ﷺ، وإلى قائلها من الصحابة والتابعين. وهذه الأحاديث المسندة جردتها من أحاديثه المسندة إلى أربعة حفاظ أندلسيين، وهم أئمة الحديث في الأندلس، وهم في غرب ديار الإسلام كالبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي في شرق ديار الإسلام.

ثم قال: >> وهذه الأحاديث تبلغ مجلداً، وهي بإسناد ابن حزم إلى أصحابها

قلت: الأئمة الأربعة الذين ذكرهم جدي هم: بقي بن مخلد وقاسم بن أصبغ وأحمد بن خالد ومحمد بن أيمن وكلهم أندلسيون، وغلبت عليهم السنة والآثار، وأودي بعضهم لأجل شيء من ذلك.

ثم قال جدي: >> فمسند ابن حزم الذي جردته من "المحلى" بسنده إلى هؤلاء الأندلسيين الأربعة، أئمة العلم والحديث بالأندلس، قد ناقش بعض أحاديثه وحاج في بعض رجالها، وسكت عن الأكثر مصححاً بشيء عليها جملة وتفصيلاً. وقد قال في "المحلى": >> وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا

1 - "لسان الميزان" (4/241) ط الكتب العلمية.

2 - فائدة: حدثني جدي قال: كان الأندلسيون يقولون: إذا كان عندكم - يا أهل المشرق - البخاري ومسلم فعندنا بقي بن مخلد.

3 - "مقدمة المعجم" (ص 28).

لم نحتج إلا بخبر صحيح، ومن رواية الثقات، مسند، ولا خالفنا إلا خبراً ضعيفاً مبيناً ضعفه أو منسوخه فأوضحنا نسخه

قلت : إلا أن ابن حزم سريع إلى تضعيف الأحاديث، كأنه ظاهري في ذلك أيضاً، وله حكم على الرجال بخالفه فيه الأئمة. وقد جمع شيئاً من ذلك الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان" وانتقده وبين خطاه.

قال الحافظ أبو عبد الله بن عبد الهادي (ت 744 هـ) : >> وهو كثير الوهم في الكلام على تصحيح الحديث وتضعيفه وعلى أحوال الرواة << 4. و"المحلى" مليء بالأحاديث المتواترة لأنها عند ابن حزم ما رواه اثنان فأكثر يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب.

قال الجد : >> في "المحلى" منه الكثير الطيب، وفيه نحو من ثمانين حديثاً، أو ثمانية وسبعون بالغد والحساب، منشورة بين صفحاته، وخلال جميع أجزاءه إلا الأول فليس فيه من المتواتر حديث

ثم بعن، حفظه الله، أن أهل العلم مشرقاً ومغرباً اعتمدوا متواتر ابن حزم لكن قال إن الوصول إلى حديث واحد منها غويز المنال، إذ يحتاج إلى مطالعة جزء كامل أو أقل أو أكثر. ومما يستغرب أن ابن حزم قد يورد الحديث من طرق عديدة قد تصل إلى عاينه ثم يبقى ضعيفاً عنده.

وعلى ذلك يمكن القول إنه من المتشددین في التصحيح وأنه يؤخذ بتصحيحه دون تضعيفه. والله أعلم.

1 - "المحلى" (1/20).

2 - "المقدمة" (ص 41).

3 - (4/242).

4 - "طبقات علماء الحديث" (2/349).

5 - راجع "الإحكام" (1/107).

6 - "المقدمة" (ص 242)، وقد بين مواضعها (ص 42) واختصر الطريق على أهل العلم، جزاه الله تعالى كل خير.

4 - تقويم المحلى ونقده وهو خاتمة هذه الرسالة

وإذ قد وصلنا إلى هذه الخاتمة فلنبين مؤاخذات أهل العلم على المحلى بشيء من الأيجاز، على ما شيرطنا في أول الرسالة. ويمكن أن تجمل أهم ما انتقده به ابن حزم في كتابه في مسألتين:

1- شدة عبارته على المخالف.

2- ظاهرته وجموده.

ولنتقل بعض كلام الأئمة في نقد وتقويم هذا الإمام ثم نوضح ذلك بحول الله تعالى بإيجاز، والله المستعان في كل ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمة الله عليه، مقوماً ابن حزم في الاعتقاد والفقہ والمنهج:

>> وإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى.

وبمثل هذا صار يذم من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفى المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموماً إلى ما في كلامه من الوقعة في الأكابر، والأسراف في نفى المعاني ودعوى متابعة الظواهر.

وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثير ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كثير من كثرة الإطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء.

¹ - "مجموع الفتاوى" (20-4/19).

قلت : ما رأيت أحداً أعدل في كلامه علي
الرجال من ابن تيمية والذهبي، رحمهما الله
تعالى.

وقال الإمام أبو عبد الله بن القيم، رحمه الله
تعالى: > "وأما أبو محمد فإنه علي قدر بيوسته
وقسوته في التمسك بالظاهر والغائه للمعاني
والمناسبات والحكم والعلل الشرعية انما في
باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة
فوسّع هذا الباب جداً وضيق باب المناسبات
والمعاني والحكم الشرعية جداً، وهو من انحرافه
في الطرفين".

وقال الإمام الذهبي، رحمه الله تعالى: > "ولم
يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجح العبارة
وسب وجدع فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث
إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة
وهجروها ونفروا منها، وأحرقت في وقت.. < 2

وقال: > "وقد امتحن لتطويل لسانه في
العلماء، وشرّد عن وطنه، فنزل بقربة له، وجرّت
له أمور، وقام عليه جماعة من المالكية < 3

وقال: > "ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه
أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المخزرة
والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ
من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم. وقد امتحن هذا الرجل وشد عليه وشرّد
عن وطنه وجرّت له أمور وقام عليه الفقهاء
لطول لسانه واستخفافه بالكبار ووقوعه في أئمة
الاجتهاد بافج عبارة وأفظ محاورة وأيشع رد < 5

قلت : والإمام الذهبي كتاب اختصر فيه
"المحلى" لكن لم تقع له أثر، ولعله هدب عباراته
واختصر أدلته، ولم وقع لنا لكان مفيداً في بابه،
فالذهبي كان إماماً كم أئمة الحديث وحفاظه.

1 - "روضة المحبين" (ص 120) ط الكتب العلمية.

2 - "السير" (18/186).

3 - كذا في الأصل المعروف أنه نزل بقربة (الئلة) فلعلها تصحفت، وتسمى الآن (نيبلا).
وقد ذكر ذلك الذهبي بعد أسطر. ثم استدركت أن ما ذكر هو الصحيح. والله أعلم.

4 - "السير" (18/318).

5 - تذكرة الحفاظ (3/1154).

وقال الجافض ابن عبد الهادي، رحمه الله تعالى،
عنه كلاماً قاسياً من أجل العقيدة، وقد انصفه بعد
ذلك بكلام حسن.

وقال قبل ذلك: > أبو محمد بن حزم من مجور
العلوم، له اختيارات كثيرة حسنة، وافق فيها غيره
من الأئمة، وله اختبارات انفردها في الأصول
والفروع، وجميع ما انفرده خطأ، وهو كثير الوهم
في الكلام على تصحيح الحديث وتضعيفه.
قلت: فتبين من هذا أنهم أخذوه على:

1 - مخالفته لاعتقاد السلف في مسائل.

وأقول: هذه المصيبة الكبيرة، والجرقة في
القلب، وليست أدري كيف عقل هذا الإمام
المحدث المادح لطريقة أهل الحديث عن
منهجهم؟!

ولكن الكمال لله تعالى، وقد رأيت كلام الأئمة
في الرجل، فما ضلوه ولا بدعوه وإن كان قد وقع
في بدع عظيمة ووافق الجهمية في أمور، لكنه
لما كان مجتهداً معظماً للسنة وأهلها كان معذوراً،
إن شاء الله، والله يغفر له بحسناته وحيه للحق
ونصرته لله ورسوله ﷺ، ويكفر عنه بمحنته التي
أصيب بها.

2 - أما عنفه في الرد.

فقال جدي، سلمه الله: " وابن حزم مواطن
أندلس، والإنسان ابن بيته بالطبع كما يقول ابن
خلدون، فالأندلسيون كالمغاربة اعترفوا من قديم:
بان في طباعهم وفي خلقهم شكاسة، فإذا أرادوا
إن يصقوا لطيفاً من بينهم، وادع النفس سمحها
قالوا: هو على رقة أهل المشرك".

ثم قال: > نعم! حدة ابن حزم سليمة الطوية،
طيبة العاقبة، وهي منه صلابة في الدين، وغيره
على الحق سرعان ما يرجع بعدها وبقيء إلى
الموادعة والموانسة فأبو حنيفة ومالك والشافعي
عم عنده - كما عند الناس - أئمة هدى وخير
مجتهدون ماجورون على أي حال ناصحون

1 - "طبقات علماء الحديث" (2/349).

للإسلام والمسلمين يدعو لهم برحمة الله
ورضوان.

ثم نقل عنه ما يدل على ذلك.

ويرجع محمد أبو زهرة حدة ابن حزم لسببين:

1- الظلم الذي وقع عليه وعدم إعطائه
حقه في المجتمع، مع سعة علمه.

2- ما ذكره هو نفسه في "مداواة النفوس"
من أنه مرض بربو في الطحال شديد مما
جعله ضيق الخاطر ضجرا، حتى إنه نفسه أنكر
تبدل خلقه.

3- شاعرية ابن حزم مما تجعله مرهف
الحس صادق القرائنة قوي الإحساس وأختم
كلامه بكلام شيخنا الجد، سلمه الله تعالى،
في نقد "المحلى" قال حفظه الله وشافاه:

> ففئ "المحلى" ثلاثمائة وألف مسألة ونيف،
فإذا أخطأ في بضع عشرات منها أو أدنى فهذا لا
يشين الكتاب، بل يزينه، فالإنسان حطأ بالطبع،
والعصمة ليست إلا للأنبياء.

فابن حزم بنى ما مضى له من مذهبه فيتناقض
ويكتب غيره.

ويستدرك المسألة فيذكرها وهو ناسي أنه قد
ذكرها قبل، فيعود إلى ذكرها.

ويرجع عن الحكم في آخر المسألة بعد أن
يكون قد في أولها خلافه.

ويتمحل الاحتجاج لرأي ويتكلف البراهين
لتدعيمه.

ويتقعر في الاستنباط ويتعسف ويبعد النجعة.

ويحمد على الظاهر ويلغي المعاني البينة
والغلل الواضحة.

ويقع في القياس، ومذهبه قائم على أن القياس
بدعة لا تجوز، وهو لا يشعر، ويحكي عن المذهب
الشيء وضده في مسألة واحدة وفي مسائل
متباعدة.

ولا ينحزم شواذ في فقهه، ومسائل واهية لا يمكن قبولها؛
 والفضل أبو رافع قد يجبل في التكملة التي أتم بها المحلي من كتاب الإيصال لأبيه علي مسئلة سيتاتي في باب، وهذه المسئلة إحالتها في الإيصال لأبي المحلي فيبقيا في التكملة علي ما هي عليه في الإيصال، وينسى أن يحذفها، فتبقى الإحالة في المحلي وليس بينها وبين آخر الكتاب إلا ورقات، وهي غير موجودة فيه .

3 - وأما ظاهرية ابن حزم فما ذكره ابن تيمية صحيح، لكن لك من كلام الشوكاني أنها في مسائل معدودة، وبالله التوفيق.

« وهذا آخر ما تيسر لي الآن في الكتابة عن المحلي، فقد بان أنه لا يستغني عنه عالم، وتحتاج إليه كل مكتبة.

رزقنا الله العمل بالكتاب والسنة في كل كبيرة وصغيرة وجيلية ودقيقة، وحشرنا مع إمام السنة حبيبنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، نفسي له الفداء وأبي وأمي. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الحسن بن علي بن المنتصر بن الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني عفا الله عنه في مدينة عمان من بلاد الأردن 6 ذي الحجة الحرام سنة 1416 هـ.

¹ - انظر "مقدمة المعجم" (ص 62-63) وفيه الإحالة إلى كل ما ذكر تركتها اختصاراً، وهذا النقل فيه تصرف يسير.

ثَبَّتَ المَرَاجِعَ



- ⓘ "الإحكام في أصول الأحكام" لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. بتحقيق الإمام أحمد محمد شاكر. طبعة إحسان عباسي بدار الآفاق الجديدة ببلنجان.
- Ⓛ "تذكرة الحفاظ" للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي. بتصحيح العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني. ط دار الكتب العلمية ببلنجان عن الطبعة الهندية (مصورة عنها).
- Ⓜ "ترتيب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للإمام الحافظ القاضي عياض اليعقوبي. بتحقيق العلامة محمد بن تاويت الطنجي. ط وزارة الأوقاف المغربية.
- Ⓝ "ابن حزم.. حياته وآثاره وعلمه" للعلامة محمد أبو زهرة. ط
- Ⓞ "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. بعناية الأستاذ أحمد عبيد. ط دار الكتب العلمية.
- Ⓟ "سيرة أعلام النبلاء" للحافظ مؤرخ الإسلام الذهبي. بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. ط مؤسسة الرسالة.
- Ⓠ "شيخ الشام محمد جمال الدين القاسمي" للشيخ محمود مهدي الإستانبولي. ط دار المكتب الإسلامي.
- Ⓡ "طبقات علماء الحديث" للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي. بتحقيق إبراهيم الزبيق وغيره. ط مؤسسة الرسالة.
- Ⓢ "الطبقات الكبرى" للعلامة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي السبكي

- الشافعي بتحقيق الحلو والطناحي. ط 1
للإسلامي "الفكر السامي في تاريخ الفقه
النجوي الثعالبي. بتحقيق عبد الفتاح القاري
ط دار الكتب العلمية.
- &ス "لسان الميزان" لخاتمة الحفاظ أبي
الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط
دار الكتب العلمية.
- &لل "المحلي" لابن حزم. مصورة دارها
الأفاق الجديدة عن النسخة المنيرية. وعلوها
تعلق الإمام أحمد شاكر.
- &ヲ "المجلى بالآثار". وهو هو، إلا أنه
ب تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري. ط
دار الكتب العلمية.
- &ワ "مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن
عبد الحليم بن تيمية. جمع عبد الرحمن بن
قاسم وابنه محمد. ط السعودية.
- &カ "مراجع العلوم الإسلامية" للدكتور
محمد الزحيتي.
- &ヨ "معجم الشيوخ" للعلامة القاضي عبد
الحفيظ بن الطاهر الفاسي الفهري. ط
الرباط سنة 1350 هـ (مصورة عنها).
- &タ "معجم فقه ابن حزم الظاهري"
للعلامة المخدث محمد المنتصر بن محمد
الزمزمي الكتاني. ط مكتبة السنة بالقاهرة
ط 1 سنة 1414 هـ.

والحمد لله رب العالمين



.....4

.....6

الباب الأول

1 - ترجمة موجزة لأبي محمد بن حزم	6
2 - ذكر المذهب الظاهري وتطوره	11
3 - أصول كتاب المحلى	17
4 - طبقات المحلى الموجودة	19
الباب الثاني	21
1 - منهج المحلى بالجملة	21
2 - فقه المحلى	24
3 - الحديث رواية ودراية عند المحلى	27
4 - تقويم المحلى ونقده	29
وهو خاتمة هذه الرسالة	29
تَبَيَّنَ المراجع	34